

العنوان:	معالم اللسانيات من منظور البدايات
المصدر:	الخطاب والتواصل
الناشر:	المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت - مخبر الخطاب التواصلي
المؤلف الرئيسي:	شيخ، هامل
المجلد/العدد:	ع7
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2020
الشهر:	جوان
الصفحات:	34 - 48
رقم MD:	1071399
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase, HumanIndex
مواضيع:	علم اللغة، اللسانيات العامة، تحليل الخطاب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1071399

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.



للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

شيخ، هامل. (2020). معالم اللسانيات من منظور البدايات.الخطاب والتواصل، ع7، 34 - 48. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1071399

إسلوب MLA

شيخ، هامل. "معالم اللسانيات من منظور البدايات."الخطاب والتواصلع7 (2020): 34 - 48. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1071399

© 2025 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

معالم اللسانيات من منظور البدايات

د. هامل شيخ
المركز الجامعي بلحاج بوشعيب عين تموشنت
cheikh.hamel@cuniv-aintemouchent.dz
hamel.cheikh@yahoo.fr

تاريخ الإرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2019-05-07	2019-05-18	2020-06-05



تعد اللسانيات علما يدرس اللسان البشري، دراسة موضوعية تبتعد عن كل تخمين أو ذاتية ، هذا العلم لا ينفصل عن الدراسات التاريخية أو النحو المقارن وإنما انطلق من مساحات معرفية أبعدت الدراسات السابقة وراهنت على التركيز على الموضوع الوحيد والأوحد للعلم، الأفكار التي سيعرضها المقال انطلقت من الكتاب الأول" دروس في اللسانيات العامة" المنسوب لسوسير من تنسيق (تلفيق) تلامذته انطلاقا من ترجمة عربية، يحاول هذا المقال الإشارة إلى بعض الأفكار الخاصة ببداية هذا العلم انطلاقا من توجهات معينة تشير إلى المصطلح وطبيعة المعارف التي كانت متاخمة لوجوده.

<u>الكلمات المفتاحية</u>: اللسانيات- اللغة-النظام-الخطية-التعاقب.



Dans notre recherche au long cours sur le dialogisme et l’énonciation, Linguistics is a study of the human language, an objective study that deviates from any speculation or any subjective. This science is inseparable from historical studies or comparative grammar, but rather from spaces of knowledge that have suppressed previous studies. and focused on the one and only subject of science. The first is "Lessons in General Linguistics" attributed to Ferdinand de Saussure, resulting from the coordination of his students *. Based on an Arabic translation, this article attempts to refer to some ideas about the beginning of this science, based on some trends indicating the term and nature of knowledge adjacent to their existence.

<u>key words</u>: Linguistics- Language –System- Linear- Sequences



تمهيد:

أدى كتاب "دروس في اللسانيات العامة" دور الرسالة التبشيرية في اللسانيات ، لقد منح دو سوسير شهرة الرجل الذي استهل عصرا جديدا، وبغض النظر عما إذا كان قد نطق بصوت صاحبه* الأصيل أم لا، فقد برهن على أنه مصدر إلهام قوي للأجيال الجديدة من اللسانيين ومصدرٌ مؤثر على النظريات اللسانية الحديثة، وكثيرا ما أثار الكتاب مناقشة خصبة، بأن يكون موضوعاً لمزيد من التفريط أو هدفا للنقد القاسي، لقد أصبح دي سوسير في عيون العالم هو هذا الكتاب.

الجانب المعرفي لكتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" لا يختص فقط بالمكونات الداخلية للسان (تركيب- فونولوجيا- علم الأصوات) بل يتعداها إلى مكوّنات خارج لسانية (لسانيات جغرافية**، لسانيات اجتماعية، سيميولوجيا1

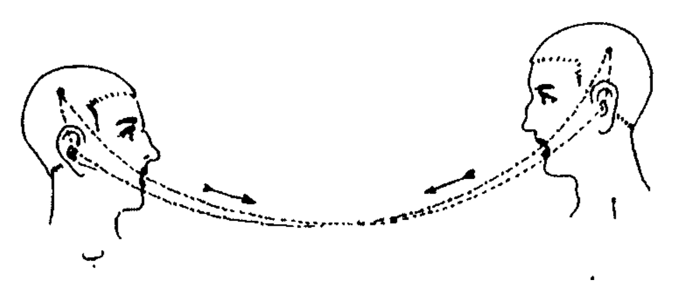
ولذلك يجوز لنا أن نعتبر طرح فرديناند دي سوسير لبعض المسائل قد تجاوز الطابع المحايث الذي نادت به البنيوية، سواء في مسألة المصطلح أو حتى في بعض التحديدات العلمية التي تنتمي إليها اللسانيات وخاصة عندما صرّح بذلك قائلا: «اللغة نظام من الإشارات التي تعبر عن أفكار، و يمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة أو العلامات العسكرية أو غيرها من الأنظمة، ولكنّه أهمّها جميعا»[2].

أي أن النسق اللغوي ينتمي إلى حقل علمي أوسع ونطاق معرفي تلتقي فيه كل الأنماط الإشارية، ويعد سوسير اللغة أهم هذه الأنساق، لكنها تدين بالانتماء إلى تحديد وحيز مهم في الحياة الاجتماعية.

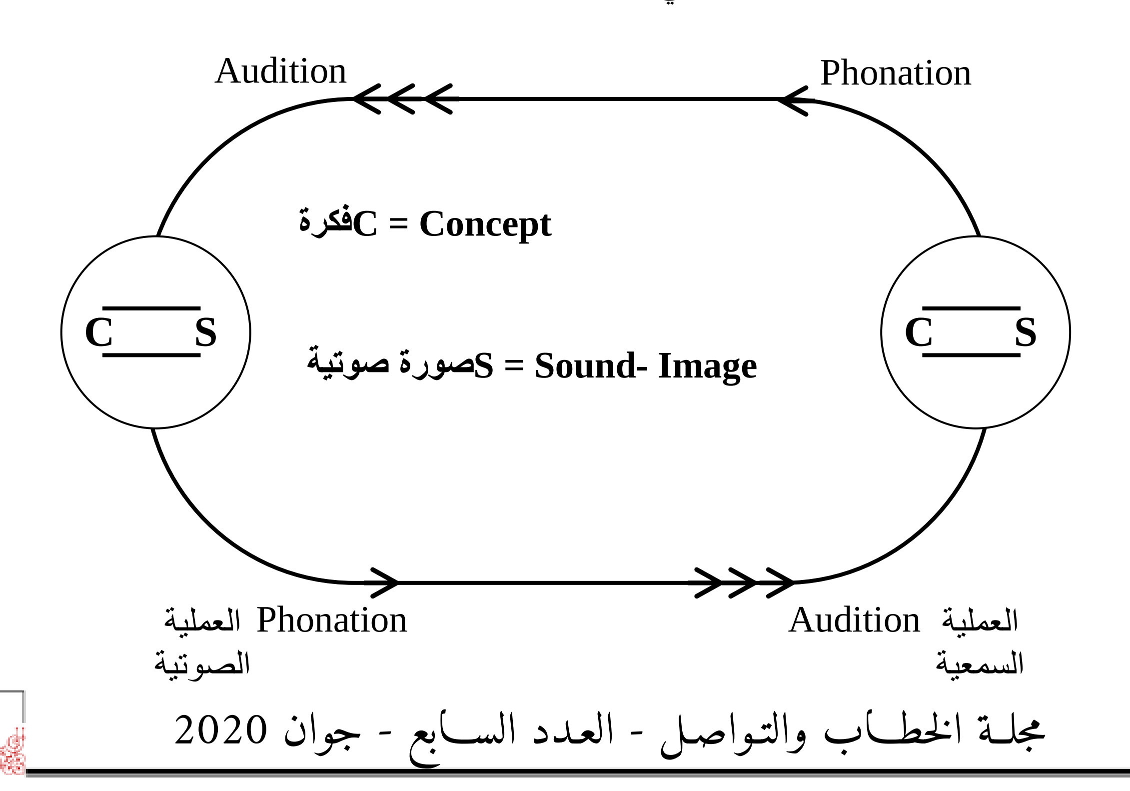
حيث يقول في هذه الفكرة: « ويمكننا أن نتصوّر علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي (...) وسأطلق عليه علم الإشارات Semiology (...) ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود إلى حد الآن و لا يمكن التكهن بطبيعته و ماهيته، و لكن له حق الظهور إلى الوجود، فعلم اللغة جزءٌ من علم الإشارات العام»[3].

انطلاقا من هذه الطروحات في مسألة طبيعة الدراسة اللغوية عند سوسير ومنطق تجلي علم اللسان وسط أنساق أخرى، ضرورية في الوجود الإنساني لغايات كثيرة، أهمها التبليغ والتواصل. إذ آثرنا ربط الدراسة اللسانية عند سوسير بمسألة مهمة و هي حياة العلامات في المجتمع؛ ويحق لنا الآن أن نتساءل هل المعالجة العلمية للغة عند سوسير أسَّسَت لعلم التواصل في اللسانيات، أم أن طرحه العلمي لم يدقق في هذه المسألة؟

إن المطّلع على كتاب "دروس في اللسانيات العامة" لا يقف على مصطلح التواصل لفظا ولا يلفيه مبثوثا مع المصطلحات اللسانية الواردة في المؤلف، لكنه إذا أمعن النظر في الطرح المعرفي فإنّه سيستنتج – لا محالة– طبيعة التواصل اللغوي عند دي سوسير بشيء من التدقيق والتوضيح والتمثيل وذلك باقتراحه لمدار الكلام الذي ينطلق من تصوّر لشخصين " أ وب" يتحاوران فيما بينهما، حيث إن الحد الأدنى للتواصل يتطلب وجود شخصين على الأقل .



وينطلق تحليل سوسير لدارة أو مدار الكلام من افتراض أو فرضية بداية الدائرة من دماغ (أ) حيث ترتبط الحقائق الفكرية (الأفكار) بما يمثلها من أصوات لغوية (صور صوتية) التي تستخدم للتعبير عن الأفكار. فالفكرة المعينة تثير الصورة الصوتية التي ترتبط بها حيث يعد ارتباطا إلزاميا، وهذه الظاهرة السيكولوجية تتبعها عملية فزيولوجية إذ يرسل الدماغ إشارة مناسبة للصورة إلى الأعضاء المستعملة لإنتاج الأصوات فتنتقل من فم الشخص (أ) إلى أذن الشخص (ب). وهذه عملية فيزيائية محضة ثم تستمر الدائرة عند الشخص (ب) ولكن بأسلوب معكوس حيث تسير الإشارة من الأذن إلى الدماغ، ويتم في الدماغ الربط السيكولوجي بين الصورة والفكرة، فإذا تكلّم الشخص (ب) بدأ فعلٌ جديد من دماغه إلى دماغ الشخص (أ)، متبعا خطّ السير نفسه الذي سار فيه الفعل الأوّل و ماراً بالمراحل نفسها[4]، والمخطط التالي يعكس مسار التواصل[5].



لقد اقتصرت الإشارة في دارة الكلام – حسب سوسير – إلى العناصر التي تعد أساسية في إحداث التواصل اللغوي القصدي و هي في مجملها تمثل:

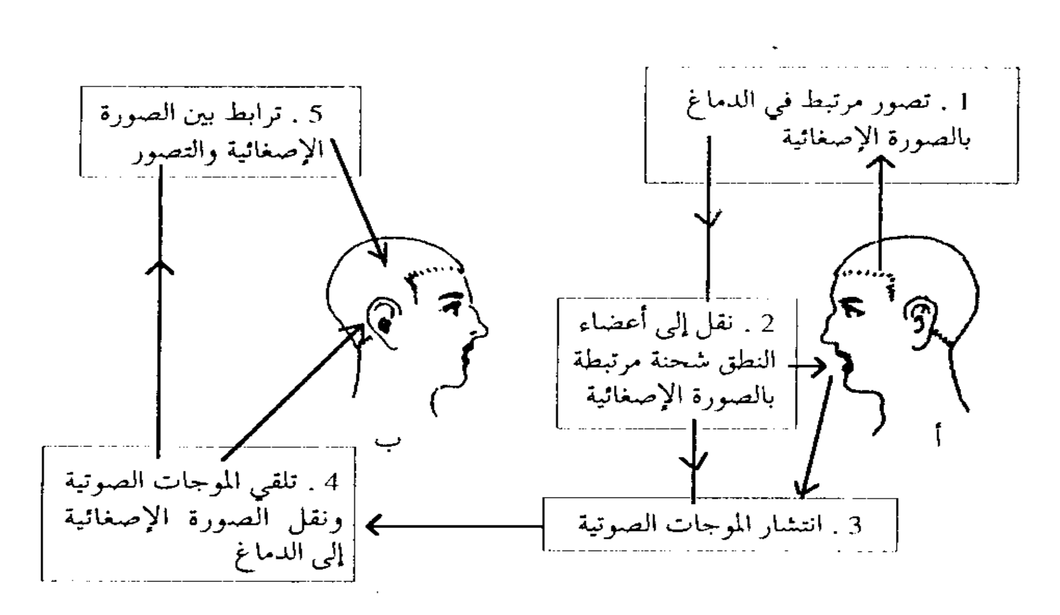
1- جزء خارجي يضم الرنات الصوتية التي تسير من الفم إلى الأذن ويقابله جزءٌ داخلي يقابله مجموع الصور الذهنية التي ترتسم في الدماغ[6].

2- جزء نفسي ذهني وآخر فزيولوجي.

3- جزء ديناميكي إيجابي** وفعّال ويعني «كل شيء ينتقل من مركز الارتباط للمتكلم إلى أذن السامع»[7].

وآخر سلبي ويحيل إلى ما ينتقل من أذن السامع إلى الدماغ أي انتقاله من الطبيعة الفيزيائية إلى الطبيعة الذهنية.

وقد بين عمر أوكان في صياغة تحليلية لدارة الكلام مختلف سيرورات التواصل والتي جاءت على الشكل الآتي[8]:



هكذا تربط العمليات (1) و(2) و(3) بالمتكلم في حين تتعلق العمليتان *(4)* و*(5)* بالمتلقي.

يحدد سوسير التواصل في ثلاثة عناصر:

- الحدث السيكولوجي الذي يربط بين المفهوم و الصورة السمعية.
- العنصر الفيزيولوجي: والذي يتمثل من خلال الدارة في عمليتين عضويتين وهما النطق والسمع.

- العنصر الفيزيائي: والذي يتمثل في الموجات الصوتية التي تنتقل من فم المرسل إلى أذن المتلقي.

فالتواصل في نظر دي سوسير هو مسار للأفكار عن طريق الأصوات. «فنحن نحوّل أفكارنا على تيار من الأصوات، ثم يقوم السامع بإعادة هذه الأصوات إلى الأفكار التي نأمل في نقلها، و على رغم أننا لا نستطيع أبدا أن نتأكد من أن السامع التقط على وجه الدقة الرسالة التي أردناها، فإن نظام الكلام هو – إلى حد بعيد- دقيق و قويٌّ و مرن»[9].

يبدو لنا من خلال الخطاطات التي عرضناها سابقا أن دي سوسير استبعد كل الظروف المصاحبة للحدث الكلامي، وأعطى لنا فكرة عن تواصل مثالي ينأى بنفسه عن كل سياق خارجي أو ظروف مصاحبة، وهو الذي يغيب في أغلب الأحيان.

يقول أوزوالد ديكرو: « إن النزوع السوسيري المتسم بنزعة المحايثة قد أغفل المرجع أو الأشياء التي تحيل عليها الكلمات، كما ترك المبهمات أو الإشاريات في الظل، ولم يلتفت إلى العناصر النصية التي تتخطى الجملة، ناهيك عن العناصر النفسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي لا يمكن بدونها التمكن من الفهم المناسب لنسق اللغة»[10].

وينتقد تشارلز أوغدن Charles Ogden وإيدفور ريتشاردز Ivor Richards سوسير لأنه « أهمل كليا الأشياء التي تنوب عنها الإشارات»[11].

وأَسِفَ نقادٌ جاءوا بعدهما لانفصال النموذج السوسيري عن السياق الاجتماعي، إن النموذج السوسيري بإبعاده المرجع بتر النص عن التاريخ[12].

إهمال سوسير للمرجع في الدراسة اللغوية مبرّرٌ علمياً و خاصة في تلك الفترة التي احتدم فيها الصراع بين معارف إنسانية عدة في مسائل مشتركة، يقول محمد الولي: « والحقيقة هي أن سوسير لم يُقْص هذه العناصر الخارجية إلا لتأمين الدراسة السيميولوجية من الآثار السلبية لعلوم الاجتماع و النفس و التاريخ التي كانت آنذاك تداهم كل المجالات بطريقة غير مشروعة، كان المشروع السوسيري هو التسييج العام للموضوع و حصر هذه المادة المدعوة لغة»[13].

و لذلك يتبين لنا – و بوضوح- أبعاد الدراسة اللسانية عند دي سوسير، وخاصة أنه – كما قلنا سابقا- يعدّ مؤسسا للتواصل،هذا الأخير الذي يعدُّ بعدا معرفيا،سينفتح على كل الأنساق، وفق أنماط ملائمة هادفة في بعض الفترات، وببراغماتية وتحريك وتوجيه في مواضع أخرى.

الدليل اللساني:

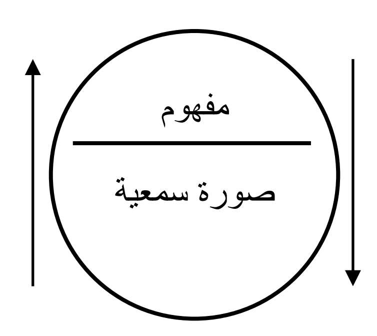
الدليل اللغوي عند دي سوسير لا يربط بين اللّفظ ومسمّاه (الشيء والمفهوم) بل يربط بين المفهوم والصورة الصوتية، يقول سوسير: « لقد رأينا عند الحديث عن دائرة الكلام أن العنصرين اللذين يدخلان في الإشارة اللغوية هما ذوا طبيعة سيكولوجية يتحدان في دماغ الإنسان بآصرة التداعي (الإيحاء) وهذا الأمر ينبغي تأكيده»[14].

ولذلك فالدليل اللغوي في حقيقته المعرفية عند دي سوسير كيان ذهني مكوّن من الدال وهو الصورة السمعية والمدلول أي المفهوم الذي يبنيه الإنسان في تصوّره للشيء مشخصا كان أو مجرّدا.[15]

ويفصّل سوسير في هذه المسألة موضحا ذلك بقوله: « فالإشارة اللغوية بين الفكرة والصورة الصوتية، وليس بين الشيء والتسمية؛ ولا يقصد بالصورة الصوتية الناحية الفيزيائية للصوت بل الصورة السيكولوجية للصوت؛ أي الانطباع أو الأثر الذي يتركه في الحواس؛ إذن فالصورة الصوتية هي حسية، وبالمقابلة بالعنصر الآخر للارتباط وهو الفكرة التي هي أكثر تجريدا من الصورة الصوتية على العموم».[16]

تحديد سوسير لطبيعة الدليل اللساني أو العلامة اللغوية يسهل على الباحث اكتشاف طبيعة اللغة من خلال عدّة زوايا؛ كما أنه يهيّئ للمعرفة اللسانية مبادئ متعددة تحيل إلى اختلاف طبيعة الإرسال والتلقي. وبصيغة أوضح

يتجلى لنا الطابع الذهني للعلامة اللغوية عندما نتأمل ذاتنا ونحن نتحدث إلى أنفسنا أو نتلو قصيدة شعرية في ذهننا. وقد عبّر عن هذه الطبيعة بالرسم الآتي:[17]



وهكذا نجد أن مفهوم سوسير للعلامة اللغوية يشير إلى الاستقلالية بالنسبة إلى اللغة من حيث علاقتها بالواقع.[18]

وهو طرحٌ بنيوي يتعامل مع نسق اللغة بمعزل عن المجال الخارج لساني* وإحالة صريحة إلى المحايثة Immanentisme بصفتها معطى علميا حديثا لم تجد وعاءها إلا في المنهج البنيوي الذي يلغي كما سبق وأن قلنا كل ما هو خارج عن اللسان.[19]

نستنتج من خلال التحديدات المعرفية السابقة أن طبيعة الإشارة اللغوية عند ف.د. سوسير سيكولوجية المبنى ولا علاقة بها بالمادية وهو ما يحيل إلى تجرّدها من أي صيغة شيئية (صورة سمعية ←مفهوم).

لكن هذا الطرح كثيرا ما تعرّض إلى نقد في طبيعة التمثّل؛ وخاصة عندما نُخرج اللغة من ظلّ النسق إلى فضاء السياق، أين تصبح اللغة أداةً للممارسة الاجتماعية ولبنة أساسية في القوى الإنجازية. يقول أوستين: « وهكذا فبإنجازنا لفعل كلامي سنكون أيضا منجزين لبعض ما تناوله كلامنا وما لم يتناوله»[20].

أي أن العلامة اللغوية تصبح قاعدة إنجازية تتجاوز الطابع الذهني؛ في نفس التحديد يقول جان جاك لوسركل: « إن اللّغة هي جسمٌ قبل أن تكون ممارسة إنها جسمٌ من الأصوات، هناك عنفٌ في صرخة الخوف (...) ويؤخذ العنف هنا بمعناه الحرفي البحت، جسدٌ يخترق جسداً»[21].

وبتوالي الدراسات اللسانية في القرن العشرين، وبعد خفوت شعاع البنيوية طفت إلى السطح عدة طروحات قزّمت بعض جهود البنيوية وتعرضت بالنقد لمثل هذه المسائل**.

الدال Signifiant:

يسمي سوسير الصورة السمعية دالا، وهي – في نظره– ليست الصوت أو الحدث الفيزيائي الخالص؛ وإنما الأثر النفسي الذي يحدثه الصوت في الذهن؛ وهو الذي يتجلى بوضوح في الحديث الداخلي للإنسان مع نفسه كما سبق ذكره بدون تحريك أعضاء النطق.

- طبيعته الخطية:Linéaire

يولي سوسير أهمية بالغة لهذه المسألة في البحث اللساني، إذ إن عمل اللغة يعتمد عليه بصفة أساسية. والمقصود بالخطية أن الدال بصفته شيئا مسموعا فهو يظهر إلى الوجود في حيز زمني فقط ومن هذا الحيز يستمد صفتين له هما:

1. إنه يمثل فترة زمنية.
2. تقاس هذه الفترة (التحديد الزمني للتمثل في الواقع) ببعد واحد فقط وهو على هيئة خط.

وعناصر الدال السمعي تظهر على التعاقب ولذلك فهي تؤلف سلسلة متوالية[22] ونستطيع أن تميز ذلك بوضوح عندما نترجم الدال السمعي إلى كتابة فيحل الخط المكاني لرموز الكتابة محل التوالي الزمني.

لكن هذا الطّرح يقابل بطرح مناقض وخاصة عندما نعمّم استعمال الدال على مختلف العلامات. يقول دانيال تشاندلر: « في أيامنا من الشائع تبني النموذج السوسوري، لكن أصبح أكثر مادية مما كان عليه عندما استعمله سوسير؛ عموما يفسر الدال اليوم بأنه الشكل المادي للإشارة؛ إنه شيءٌ يمكن رؤيته أو سماعه أو لمسه أو شمّه أو تذوقه»[23].

وهو رأي تبناه رومان جاكبسون في مصطلحاته اللسانية حيث استعمل مصطلح ظاهرة الإشارة وهو الجزء الخارجي والمدرك من العلامة.[24]

المدلول Signifie:

كما سبق ذكره ليس المدلول هو الشيء بل التمثل النفسي للشيء، وهذه الطبيعة النفسية للمدلول هي ما عبر عنه سوسير بالتصوّر أو المفهوم Concept الذي يقترن في تشكيل العلامة اللغوية مع الصورة السمعية Image acoustique ومن خلال ذلك فمدلول الكلمات المختلفة في الواقع – حسب سوسير– لا يطابق الأشياء الموجودة فعلا (المرجع) بل التمثل النفسي الذي يوجد عند الإنسان عن هذه الأشياء.

تقول سوزان لانجيه: « إنني إذا قلتُ "نابليون" فإنّك لا تنحني أمام فاتح أوربا وكأنّه حاضرٌ أمامك، إنما تفكِّر فيه فقط»[25].

وهو ما يدلّ حسب تحديدات سوسير والذين تبنوا طرحه العلمي، أن المفهوم لا يدل بتاتا على الشيء وإنما يحيل إلى صبغة تصورية كامنة في ذهن كل فرد في المجتمع، يقول سوسير « كثيرا ما ينسى المرء أن Arbor شجرة تسمى بالإشارة لا لسبب إلا لأنها تحمل فكرة الشجرة، ويؤدي ذلك إلى أن الفكرة الحسية تنطوي على فكرة الكل».[26]

ومنطق الكلية عند دي سوسير يحيل إلى مبدأ التعميم في طرح أفكاره اللسانية التي كما رأينا سابقا تستند على طرح بنيوي يغذيه تأمله المطلق للغة من منظور معزول عن كل السياقات المحيطة، ولذلك تراوحت نظرته بين شقي المادة الصوتية (الدال) والفكرة (مدلول) ولذلك «فإن الوظيفة المميزة للكلام بالمقابلة مع التفكير ليست خلق وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار وإنما هي أن تستعمل كواسطة بين الفكر والصوت في ظروفٍ معينة تسمح بترابطها الذي يؤدي إلى تحديدات متبادلة للوحدات»[27]. وهذه الوحدات هي اللبنة الأساسية للغة، التي اصطلح على تسميتها بالعلامة اللغوية وهي ربطٌ بين مدلول (تصور، مفهوم، فكرة) ودال (صورة سمعية،

إصغائية...)،في طرح مخالف لنظرة سوسير، يقول روبير مارتان: « كل الألسن تشتغل اشتغال أنظمة رمزية، فلست بحاجة إلى وجود قطٍّ أمامي ليمكن لي الكلام عن القطط، ولست بحاجة إلى الجري لأذكر العدو؛ فالدلائل اللسانية تقوم مقام الأشياء، وتحمل في صلبها فكرة الأشياء».[28]

وفي نفس الطرح تقريبا يقول دانيال تشاندلر: « إن نموذج الإشارات السوسوري الأصلي يحبّذ المرجع، يستبعد الإرجاع إلى موجودات في العالم ويبدو ذلك غريباً ممن عرّف السيميائيات بأنها علم يدرس دور الإشارات باعتبارها جزءاً من الحياة الاجتماعية؛ إذ لا يتماهى المدلول عنده مباشرة مع المرجع»[29].

إن إسقاط المرجع في طرح سوسير فتح الباب على مصراعيه أمام اجتهادات بنيوية تحاول صقل الفكر اللساني مع محددات الثقافة، حيث إن اللغة بصفتها مجموعة من العلاقات ينبغي لها أن تستند في صيرورتها على مراجع مختلفة تمنح لنسقها متنفسا تطل به على الواقع. وهو الذي حدث مع رومان جاكبسون ولويس يلمسليف وغيرهما؛ ومن جهة ثانية سنجد في تحديدنا المعرفي لبعض المصطلحات السوسيرية الأخرى أن هذا الفكر يحمل في ثناياه بعد نظر وتأملا منقطع النظير وطرحا جادّا لمسائل اللغة.

الاعتباط Arbitraire:

ورد تعريف الاعتباط في المعاجم المتخصصة بأنه الصفة التي تميز العلاقة بين الدال والمدلول؛ أي بين الشكل الصوتي وما يدل عليه.[30]

وسم سوسير العلامة اللغوية بسمتين اثنتين أولهما: خطية الدال (ذكرنا ذلك سابقا)، وثانيهما طبيعتها الاعتباطية، أي أن العلاقة بين الدال والمدلول غير مؤسسة على أي رابط وعلاقة داخلية. ففكرة وئام مثلا لا ترتبط بأية علاقة داخلية بتعاقب الأصوات و.أ.ا.م التي تقوم بوظيفة الدال فهذا المفهوم (المدلول) يمكن التعبير عنه باستخدام أي تعاقب صوتي آخر.[31]

ويشدِّد سوسير في كلامه على اللغات الطبيعية على أنّه لا يوجد ارتباط فطري أو أساسي أو بديهي بين الدال والمدلول؛ يعني بين صوت الكلمة والمفهوم[32]. فليس في لفظ الشجرة مثلا أيّ شيءٍ شجري؛ ولذلك فإن الصيرورة التي تنتقي تتابعا صوتيا معينا ليتطابق مع فكرة معينة اعتباطية تماما في نظر سوسير؛ حتى أننا نجد أن هذه النظرة لها مرجعية ضاربة في أعماق التراث الفلسفي القديم*.

وفي ضوء مبدأ الاعتباط، فإن بنية اللغة الأساسية لم تعد تتكشف لنا عن طريق الإيتيمولوجيا (دراسة أصل الكلمات واشتقاقها) والفيلولوجيا (فقه اللغة التاريخي والمقارن)، بل يمكن تتبع المسار اللغوي عن طريق فهم كيفية تغير حالات اللغة بالرجوع إلى قاعدة التواضع الاجتماعي؛ ومن خلال هذا المبدأ ستضرب المعرفة الإنسانية بطرح التوقيف والارتباط الطبيعي للأسماء بمسمياتها عرض الحائط.

فالاعتباطية لها –هنا– معنى التواضع وتحيل إلى أن اللغة قانون تواضعي يؤدي إلى اعتبار العلامة اللغوية وحدة متجانسة من العلاقات الثنائية الداخلية[33]، وهو ما يثمن الدراسة اللسانية العلمية التي تعتبر أن اللغة نظامٌ يجب معرفة خاصيته، ولا يمكن دراستها (وصفا أو تأريخا) دون الرجوع إلى كل مكوناتها ومراعاة كل بنياتها.[34]

ويمنح صبغة التفرّد – في بداية القرن العشرين– لسوسير لأنه صاغ وأوضح ما اعتبره اللغويون السابقون* أمرا مفروغا منه أو تجاهلوه تبعا لطبيعة الدرس اللغوي السائد ويتمثل في البعدين الأساسين للدراسة اللغوية.

البعد الأوّل: الدراسة التزامنية Synchronique التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في أي زمن بعيد.

البعد الثاني: الدراسة التعاقبية التاريخية Diachronique والتي تعالج فيها تاريخ عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن.[35]

يستمد مبدأ الاعتباط الذي تتميز به العلامة اللغوية مشروعيته من التواصل الاجتماعي للسان كما يجعل هذا الأخير في مأمن من كل محاولة تهدف إلى تغييره أو مناقشته، ونخصُّ بالذكر أصوات المحاكاة التي تحوي علاقة بين الصوت والمعنى (أصوات بعض الحيوانات مثلا) وهي في مجملها قليلة مقارنة باللغة.[36]

القيمة اللّغوية:

هي جملٌ من العلاقات التي تتشكل بين العناصر اللغوية، هي أيضا « معنى الوحدة اللّغوية المحدد بالمواقع النسبية لهذه الوحدة ضمن النظام اللّغوي.»[37]، تتحدد في النظام ضمن معطيات الدال والمدلول، الطرح المعرفي لمفهوم القيمة عند سوسير يذهب بنا بعيدا متجاوزا في أحيانٍ كثيرة حيز اللغة بصفتها مجموعة من العناصر المتناسقة مع بعضها البعض إلى البحث الفلسفي حول أسبقية اللغة عن الفكر أو العكس، ومن خلال هذا الطرح يُشحن بتحديدات أخرى حول مفهوم القيمة التي لا ترتبط بالدلالة فقط وإنما تحيل إلى جملة من العلاقات –حسبه– إذ إن قيمة العلامة تكمن في دلالتها ولا دلالة دون نسق ولا نسقَ دون علاقَة ولا علاقَةَ دون بنية.[38]

فنسق اللّغة هو وحداتها الرئيسية التي ترتصف فيما بينها ضمن علاقات تركيبية. ولا وجود لهذا النسق فعليا إلا بالوجود الأوّلي للبنية التي تحيل إلى مبدأ التمفصل المزدوج (التقسيم الثنائي)، حيث إن النظام اللّغوي مبني على مفهوم العلاقات التي تربط العناصر اللّغوية وأن هذه العلاقات تشكل نظما جزئية تتداخل فيما بينها في كل مستوى من المستويات اللسانية.[39]

يحصل التقطيع على محورين اثنين: أفقي وعمودي.

المحور الأفقي: تتشكل فيه العلاقات التي تربط العناصر ببعضها البعض في سياق الكلام وتسمى العلاقات التركيبية.

المحور العمودي: تندرج فيه العلاقات الناتجة عن انتماء العناصر إلى جنس واحد والذي يمكن أن نستبدل فيه بعناصر أخرى من جنسها في نفس الموقع من السياق وتسمى العلاقات الاستبدالية.

وانطلاقا من هذا التقسيم تتمفصل اللّغة إلى وحدات صغيرة على مرحلتين نحصل في كل واحدة منها على نوعٍ معين من الوحدات[40]:

- وحدات المحور الأوّل هي الحروف التي لا تدل على معنى (فونيمات) والذي يكْمنُ معناها في غيرها، هي أصغر وحدة صوتية غير دالة.
- وحدات المحور الثاني هي الكلمات أو أصغر وحدة صوتية لها معنى (مورفيمات) الكلمات (ال التعريف وغيرها).

فالقيمة اللّغوية عند سوسير هي تضافر عناصر وعلاقات في حيز معين للغة من شأنه أن يعطي لها وجودا فعليا في الواقع « حيث إن الدور المميز للغة بالنسبة للفكر ليس وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الأفكار، بل القيام بوظيفة حلقة الوصل بين الفكر والصوت، في ظروفٍ تؤدي بالضرورة إلى التمييز المتبادل لوحدات الفكر والصوت»[41].

من خلال هذا التحديد يبرز لنا طرح سوسير لطبيعة العلامة اللّغوية وتشكلها في تمثُّل يحاكي وجهي الورقة؛ وجهها المفهوم ووجهها الاخر الصورة السمعية، تحمل قيمة مرتكزة على مجموعة من الإواليات والعمليات، التي لا تخرج إلى السياق بل تتكاثف فيما بينها في طابع محايث بحت. مما جعل طرح سوسير المعرفي عموما وتحديده اللّساني في دارة الكلام على وجه الخصوص يفتقد لبعض العناصر التي استدركها الذين جاؤوا بعده.



* – يرى ر. جوديل أن الكتاب يشتمل على صورة من أفكار دي سوسير لا تتسق في كل النقاط مع آرائه في اللغة على الوجه الذي طرحها به في سياق محاضراته الجامعية، و محاوراته مع تلاميذه؛ على سبيل المثال فإن دي سوسير لم يلح بهذه القوة على التمييز بين اللغة و الكلام. أي بين لغة مجموع الجماعة المتكلمة (التي توجد في الوعي الكلامي لكل فرد) و ظاهرة الكلام الفردي (الذي يعكس نموذج اللغة)، لأنه كان على وعي بأن مثل هذا التمييز الصارم لا يمكن الدفاع عنه في الممارسة العملية.

في مقابل ذلك هناك أفكار حظيت عند دي سوسير بتأكيد عظيم قد جاءت في الكتاب خافتة و يبين جوديل دائما أن حماسة دي سوسير لمقاربة اللغة مقاربة رياضية قد صوّرت بطريقة غير كافية على الإطلاق. هي نقاط كثيرة أثارها "روبرت جوديل" في دراسته التي فحص من خلالها مدى أمانة تمثيل الكتاب لآراء دي سوسير، و هي بعنوان: "المصادر المخطوطة لكتاب دروس في اللسانيات العامة لفرديناند دي سوسير" "Les sources manuscrites de cours de linguistique générale de F. De Saussure"، نشرت في:

Société de publications Romanes et Français, Genève, 1957.

وثمة دراسة كتبها ر.ويلز R. Wells بعنوان: "نظام اللسانيات عند دي سوسير" "De Saussure's System of Linguistics" نشرت سنة 1947، تتضمن تحليلا نقديا للنظرية المطروحة في كتاب "دروس في اللسانيات العامة".

- للتوسع ارجع إلى: ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، صص 211 – 221.

– كاترين فوك، بيارلي تونيك، مبادئ في قضايا اللسانيات، ترجمة: منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1984، ص ص 25– 26.

– ز.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر.: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، 1997، صص 285 – 296.

** – ويصطلح عليها أيضا الطوبونيميا .Toponymie

– ارجع إلى: .Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, p 485

[1] – ينظر: محند الركيك، نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد 24، سنة 2005، ص. 65.

[2] – فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام ، ص .34.

[3] – المرجع نفسه، ص.34.

[4] –فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص.30.

[5] – المرجع نفسه ص.30.

* – نجد في المصدر الأصلي "Cours de linguistique générale"، اختلافا في بعض التحديدات فيما يخص هذا المخطط حيث وردت C⇆I مقابل ما وجدت في الترجمة C═S حيث C تقابل concept دائما بينما تقابل I Image acoustique و هو ما وجدناه أيضا في معجم جون ديبوا ص. 96.

ارجع إلى:

– Ferdinand De Saussure, Cours de linguistique générale, édition Talantikit, Bejaia, Algérie, 2002, p 21.

– Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, p 96.

[6] – دي سوسير، علم اللغة العام، ص 31.

** – يقابل دي سوسير بين ما هو تنفيذي نشيط exécutif– actif (م ⇆ ص) وبين ما هو تلقي سلبي réceptif– passif (ص ⇆ م).

– ارجع إلى: جاكبسون، مونان وآخرون، التواصل نظريات و مقاربات، ترجمة: عز الدين الخطابي، زهور حوتي، منشورات عالم التربية، المغرب، ط1، 2007، ص .84.

[7] – المرجع نفسه، ص. 31.

[8] – عمر أوكان، اللسانيات والتواصل، مجلة فكر ونقد، العدد 36، فبراير 2001، ص 85، من موقع: http:www. Aljabriabed.net.

[9] – مايكل كورباليس، في نشأة اللغة من إشارة اليد إلى نطق الفم، ترجمة: محمود ماجد عمر، عالم المعرفة، الكويت، مارس 2006، ص .24.

[10] – O. Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, éd. Le Seuil, paris, 1972, p 117.

– نقلا عن: محمد الولي، السيموطيقا و التواصل، مجلة علامات، مكناس، المغرب، العدد 16، سنة 2001، ص 87.

[11] – Charles Kay Ogden, Ivor Armstrong Richards; The meaning of meaning, London: Routledge and Kegan, Paul, 1923, p 08.

– نقلا عن: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ترجمة: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص .63

[12] – ينظر، دانيال تشاندلر، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[13] – محمد الولي، السيموطيقا والتواصل، ص. 87.

[14] – فردينا ند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 84.

[15] – ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 20.

[16] – فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 85.

[17]– المرجع نفسه، ص 85.

[18] – ينظر: جون ليتشه، خمسون مفكرا أساسيا معاصرا، من البنيوية إلى ما بعد الحداثة، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط01، 2008، بيروت، لبنان، ص 311.

* – وهو مصطلح كثيرا ما استعملته كاترين أوريكيوني في دراستها النقدية اللسانية.

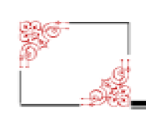
– يراجع: كاترين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ص 24.

– محمد نظيف، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، إفريقيا الشرق، ط 01، 2010.

[19] – ينظر: كاترين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ص 05.

[20] – جون لانكتشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام. ترجمة: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص 128.

[21] – جان جاك لوسركل، عنف اللغة، ترجمة: محمد بدوي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، المركز الثقافي العربي، المغرب، المعهد العالمي العربي للترجمة، الجزائر، ط1، 2005، ص 399.



** – يراجع للتوسع: ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، ترجمة: ثائر ديب، منشورات، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 2001.

– ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، مرجع سبق ذكره.

– محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د.ط.، 1995، ص 151.

– كاترين أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، ص 18 (نقد خطاطة ر. جاكبسون).

[22] – ينظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص89.

[23] – دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 47.

[24] – ينظر: رومان جاكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح، حسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/المغرب، بيروت/ لبنان، صص 54. 55. 56.

[25] – Susanne Katherine Knanth Langer, Philosophy in a new key: A study in the Symbolism; of reason, Rite and Art (New York: Montor– 1951), p. 61.

– نقلا عن: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص ص. 50، 51.

[26] – فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 86.

[27] – كاترين فوك، بيار لي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 21.

[28] – روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة: عبد القادر المهيري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 94.

[29] – دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 50.

[30] – مبارك المبارك، معجم المصطلحات الألسنية، فرنسي، انجليزي، عربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص 28.

[31] – ينظر: فرديناند دي سوسير، مصدر سابق، ص ص 86– 87.

[32] – دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص. 58.

* – يناقش أفلاطون هذه المسألة في مؤلفه الحواري كراتيلوس Cratylus؛ يدافع كراتيلوس عن العلاقة الطبيعية بين الكلمات وما تمثله، لكن هرمونجينيس Hermongenes يعلن أن لا أحد يستطيع إقناعه «بأن هناك شيءٌ آخر غير الاصطلاح والاتفاق يحددان صحة الأسماء، ليس من اسم ينتمي إلى شيء معين انتماءً طبيعياً».

– Plato. Cratylus, translated with introduction and notes by C.D.C Reeve (Indianapolis, in Hackett, pub, 1998, p. 02.

– نقلا عن: دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص. 59.

[33] – ينظر: كاترين فوك، بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، ص 22.

[34] – ينظر: جان بيرو، اللسانيات، ترجمة: الحواس مسعودي، مفتاح بن عروس، دار الآفاق، الجزائر، 2001، ص 30.

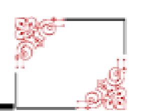
* – نذكر مثلا الأخوين شليجل، دان راسك (1787– 1832)، جريم (1785– 1863)، بوب (1791– 1867)، فون همبولت (1767– 1835).

– يراجع: روبنز، موجز تاريخ علم اللغة عند الغرب، الفصل السابع [علم اللّغة التاريخي والمقارن في القرن 19]، ابتداء من ص. 237.

[35] – ينظر: روبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ص ص 287– 288.

[36] – ينظر: فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، ص 88.

[37] – مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، ص 298.



[38] – فرديناند دي سوسير، م س، ص 131.

[39] – خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 25.

[40] – ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص.ص 25– 26.

[41] – فرديناند دي سوسير، علم اللّغة العام، ص 132.

